Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 14، عدد رقم:04، ديسمبر 2025، صص: 105- 124
تاريخ الاستلام(2025/06/10) تاريخ القبول (2025/10/20) تاريخ النشر (2025/12/30)

واقع الثّنائية اللّغويّة في النّقد الجزائريّ المعاصر بين إشكالية الهويّة واضطراب الممارسة

The Reality of Bilingualism in Contemporary Algerian Criticism: between the Issue of Identity and the Disruption of Practice

علّام عبد القادر [1] ، كبريت علي [2]
مخبر الخطاب الحجاجيّ أصوله ومرجعيّاته وآفاقه في الجزائر
[1]جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)، abdelkader.allem@univ-tiaret.dz
[2]جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)، kebrit14@yahoo.fr

ملخص:

يَروم هذا المقال تلمّس عوامل تأثير الوضع اللّغويّ المتعدّد في الجزائر على الخطاب النّقديّ المعاصر، ومقاربة تمظهراته عبر تتبّع واقع الثّنائيّة اللّغويّة، وما تفرزه اللّغة المستعارة من اضطراب ثقافيّ واجتماعيّ، وذلك بالتّركيز على تجلّيّات هذه الظّاهرة اللّغوية في الخطاب النّقديّ الجزائريّ المعاصر المكتوب باللّغة الفرنسيّة، والاشتغال بمساءلته في قضيّة الهويّة والانتساب، الّتي انتقلت من حقل الأدب إلى النّقد.

كلمات مفتاحية: **وضع لغويّ؛ خطاب نقديّ؛ ثنائيّة لغويّة؛ لغة فرنسيّة؛ هويّة**

Summary:

This article aims to explore the factors influencing the multilingual situations in Algeria on contemporary critical discourse, and to examine its manifestations through tracing the reality of bilingualism and the cultural and social disruption caused by the borrowed language. The focus is on the manifestations of this linguistic phenomenon in contemporary Algerian critical discourse written in French, and by engaging with its questioning the issue in relation to identity and affiliation, a matter that has moved from the field of literature to criticism.

المؤلف المرسل: علّام عبد القادر ، **الإيميل:** abdelkader.allem@univ-tiaret.dz

Keywords: Linguistic situation; critical discourse; bilingualism; French language; identity

1. مقدمة :

يمثّل الوضع اللّغويّ في الجزائر مجالا خصبا للدّراسة والبحث، في ظّل وفرة الإشكالات الّتي ألفاها من واقع التّعدّد اللّغويّ، خاصّة تلك الّتي خرجت من كُنه الثّانيّة اللّغويّة، باعتبارها إفرازا كولونياليّا لحق الثّقافة واللّغة والأدب وحتّى النّقد، وقد تناول الخِطاب النّقديّ الجزائريّ المعاصر إحدى هذه القضايا الّتي باتت تُؤرق الباحث كلّما صادف كتابات إبداعيّة باللّسان الفرنسيّ في السّاحة الثّقافيّة والأدبيّة الجزائريّة، وهي قضيّة الهويّة والانتساب الّتي انتقلت بدورها إلى النّقد، والمفارقة في هذا الشّأن تكمُن في آراء ومواقف الاستدلال المتأرجحة بين اللّغة والمبدع ومحمول النّصّ، دون أن نغفل عن تجلّيّات اللّغة المستعارة في الممارسة النّقديّة الجزائريّة، ذلك لأنّ لغة الخطاب الإبداعيّ بمحمولها الفكريّ والثّقافيّ هي مادّة النّقد وموضوعه، وهذا مّا يقود إلى إمكانية القول بانشطار حركة النّقد في الجزائر، وتَمايز كتاباتها بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة، مُحْدِثةً اضطرابا في ممارستها لدى الجماعات النّقديّة .

واستنادا على هذا الطّرح، سنشتغل في هذه الورقة البحثيّة على مقاربة تأثير الثّنائيّة اللّغويّة في الخطاب النّقديّ الجزائريّ الحديث والمعاصر، وذلك من خلال ما يلي :

مفاهيم التّعدد اللّغويّ (الازدواجيّة اللّغويّة /الثّنائيّة اللّغويّة)

1- في مفهوم التّعدّد اللّغويّ: يُصطلح على التّعدّد اللّغويّ بـ "التّلوّن اللّغويّ"؛ "التّنوّع اللّغويّ"، وهو تشكيلات لغويّة متناسبة لنسيج اجتماعيّ مُتآلفٍ في الفكرِ والثّقافة والتّوجّه، تسود علاقة التّوافق نُظُمها اللّغويّة على قلّتها أو كثرتها رغم اختلاف الألسن لوجود قابليّة في التّواصل بها أو من دونها، ولارتباط هذا بعامل الهويّة والبعد التّاريخيّ، وصِلَتها الوثيقة بنتاجها الثّقافيّ اللّامادّي، وترسيخ خزّانها الفكريّ والحضاريّ. وإيراد هذا الفصل المُقْتضب يُمْعِن في الجيرة والتّلاؤم الّذي "يَنْشأ بين اللّغات المُتَساكنة على بيئة مشتركة، وفي ظلّ مجتمع واحد وحضارة مُوحَّدة"[1]، وهي ناجمة عن الهجرات البشريّة بسبب الظّروف الطّبيعيّة والمناخيّة، وأخرى متعلّقة بالإنسان كالهيمنة والاستبداد .

وما يُبرّر ظاهرة التّعدّد اللّغويّ في الجزائر على مرّ العصور شاسعة رقعتها الجغرافيّة، وترامي حدودها الإقليميّة، بالإضافة إلى حالات الاستقطاب والنّزوح الجماعيّ، والهجرة،

والتّشعّب اللّهجيّ، وتعلّم اللّغات، زيّادة إلى ما يترتّب عن التّنوّع الثّقافيّ من مستويات لغويّة منحدرة عن اللّغة الأمّ؛ كالعامّية الفصحى، واللّهجات، والدّارج. بهذه التّشكيلات المتعايشة في البيئة اللّغويّة الجزائريّة تَحقّقَ عنصر الاندماج الاجتماعيّ، إلى أنْ ظهرت اللّغة الفرنسيّة في سياق تاريخيّ معروف، جعلت المعادلة اللّغويّة في الجزائر في توصيف آخر! .

2- **في مفهوم الازدواجيّة اللّغويّة :** من الدّارسين من استدَلّ على الازدواجيّة اللّغويّة بميزان الأصل والفرع، وجعل اللّغة على ضربين أولاهما أرفَعُ منزلة وثانيهما أدنى، وهو من حيث الاصطلاح شيء واحد مع الثّنائيّة اللّغويّة في اللّغة الإغريقيّة، وقد ظهر مصطلح الازدواجيّة اللّغويّة(Diglossia) في الدّراسات اللّغويّة عام 1959م "حين استخدم اللّسانيّ الأمريكيّ شارل فرغيسون Charles Ferguson هذا المصطلح المأخوذ من اللّغة الإغريقيّة"[2]، ولكي يُعطِيَ مفهوما دقيقا للازدواجيّة اللّغويّة تَتَبَّعَ عناصر اللّغتين المستعملتَين، ووقف عند خصائصهما المشتركة والعلاقات الّتي تربط بين بُنياتهما، مُعتَبِرا المخرجات الّتي أفرزتها العمليّةُ سِماتًا فارقة في تحديد اللّغة الأصليّة من اللّغات المتفرّعة، وقد جعلها على أربعة أحوال، تختصّ بأربعة مناطق من العالم، "المنطقة الألمانيّة في سويسرا، ومصر، وهايتي، واليونان، على أنّها العلاقة الثّابتة بين ضربين لغويّين بديلين ينتميان إلى أصل جينيّ واحد: أحدهما راقٍ والآخر وضيع، كالعربيّة الفصحى(ضرب راق) والعامّيات(ضرب وضيع)"[3]، إلّا أنّه أدرك لاحقًا أنّ الازدواجيّة اللّغويّة تميل أيضا إلى التّغيّر وعدم الاستقرار، لوجود تفاعل مستمرّ بين طرفيها، وبذلك يكون "فرغيسون" قد كشف عن مستويين من اللّغة؛ اللّغة الشّفويّة المستعملة، وهي الشّائعة إلّا أنّها أقلّ اهتماما أكاديميًّا، بالموازاة هناك اللّغة المكتوبة، وهي حاضنة الأدب النّاضج، أعلى منزلةً واهتماما، تُعتبرُ المعيارَ لما ينحدر عنها، وهي الأقلّ استعمالا لدى العامّة .

3- **في مفهوم الثّنائيّة اللّغويّة:** من مسائل التّعدّد اللّغويّ الّتي كان لبعض المهتمّين موقف واحد من حيث المفهوم وأطلقوا عليها "الازدواجيّة اللّغويّة والثّنائيّة اللّغويّة" (Diaglossia, Bilingualism)، ذلك لما يجمعهما من تداخل في الدّلالة، واختصاص الجماعة اللّغويّة بهما، ووجود تفاعل مستمرّ بين الأنماط والأنظمة اللّغويّة في هذين الوضعين، إلى ما يترتّب عنهما من آثار لدى الجماعات ذاتها، أشكلت في راهن الممارسة الفعليّة بين القابليّة والرّفض، وهي

حالة ناجمة عن عدم الاستقرار، وهذا ما يوحي إلى استحالة التّسليم بالوضع اللّغويّ المثاليّ في ظلّ المنافسة غير المعلنة بينها. ودافعنا إلى معرفة حقيقة الثّنائيّة اللّغويّة هو من قبيل بيان تمظهراتها في الواقع اللّغويّ المتعدّد في الجزائر .

إن كانت الازدواجيّة اللّغويّة ترتكز على استعمال مستويَين مختلفين للُغةٍ واحدة، فالأولى هي لغة معياريّة للكتابة الأدبيّة، والأخرى هي العامّية الشّائعة، فإنّ الثّنائيّة اللّغويّة تستند على ممارسة لغتين مختلفتَين على نطاق ضيّق أو واسع في مجتمع لسانيّ واحد، كما هو واقع في بلاد المغرب العربيّ بين (العربيّة/الفرنسيّة)، ويعود ظهور هذا المصطلح إلى الكاتب والصّحفيّ اليونانيّ إيمانويل رويديس (Emmanouíl Roïdis)، الّذي أبدى اهتماما بقضايا الواقع اللّغويّ في المجتمع اليونانيّ. أغلب معاجم اللّغويّات الغربيّة (Oswald Ducrot, Tzvetan Todorov)،(Monin) تربط الثّنائيّة اللّغويّة" بقدرة الفرد على استعمال لغتين مختلفتين في حضارتين مختلفتين : اللّغة الأمّ + لغة أجنبيّة"[4] .

4- الاستعمال اللّغويّ المتعدّد ومعوّقاته : إنّ الواقع من استمراريّة استعمال الأفراد لمستويَين لغويّين فأكثر راجع بنسبة بالغة إلى خاصيّة التّعايش الّتي أضحت لديهم سلوكا لغويّا مألوفا، وهذا يوحي بمتانة تماسك النّسيج الاجتماعيّ وتناغمه، وأقرب ما تكون هذه الخاصّية لدى الجماعات اللّسانيّة المتقاربة تاريخيّا، على غرار اللّغة العربيّة واللّغة الأمازيغيّة في الجزائر، ذلك أنّ "هذا الوضع الّذي ينطبق على العالم بشكل عامّ، ينطبق على كلّ بقعة من بقاع الأرض عند بني البشر، فلا يوجد بلد متوحّد اللّغة، ومصير الإنسان أن يكون في مواجهة اللّغات المتعدّدة، لا أن يكون في مواجهة اللّغة الواحدة"[5].

المعوّقات تتلاشى أمام الموروث اللّاماديّ، واللّغة من حيث هي كذلك، يستحيل منعها من أن تبلغ المقاصد، فهي عابرةٌ لحدود الأوطان، تميل إلى التّعدّد والازدياد والنّماء، تنتقل بانتقال الإنسان، والّذي ينبغي أن نفهمه أنّ التّعدّد اللّغويّ ليس له علاقة بمناطق مخصوصة فحسب، بل الجميع سيُلاقون لغات أخرى، دون أن يُلزموا أنفسهم استيعابَها أو استحسانها، وليس خفيّا على العنصر البشريّ ما تُحدثه تكنولوجيا الإعلام والاتّصال مِن تأثير في هذا المجال، فلم تَعد العلامات اللّغويّة حاجزا بين اللّغات المتباينة، لوصول الممارسة الشّفويّة إلى أعلى المراتب باستخدام الوسائط المتعدّدة، بل جعلت بعض وظائفها لا تنحصر في مجتمع لغويّ بعينه، مادامت اللّغات تأخذ أشكالا أخرى متداخلة، ويترسّخ لدينا

- بناءً على ذلك - فهمٌ "بأنّنا جميعاً على قدر من التّعدّد اللّغويّ حتّى حين نكون أحاديّي اللّغة، نريد بهذا أن نقول إنّنا حتّى في إطار لغة واحدة، هي لغتنا، نستخدم أشكالاً مختلفة من هذه اللّغة، وإنَّ اختيارَ هذا الشّكل أو ذاك إنّما هو اختيار لوظائف مخصوصة" [6].

الوضع اللّغويّ في الجزائر:

1-حقيقة الممارسة اللّغويّة في الجزائر: يُصطلح على الوضع اللّغويّ أيضا بالواقع اللّغويّ؛ والرّاهن اللّغويّ، هو وضعيّاتٌ لغويّة سائدة لدى جماعة لغويّة معيّنة، والقائمة على علاقاتِ تفاعلٍ بينها، في موازاة ما يؤكّد تَجْسيد النُّظُم اللّسانيّة المُتَواضَع عليها في مستويات متفاوتة من القوّة والضّعف، نظرا لِلحاجَة إلى ما يُكَرّسُ الممارسات اللّسانيّة فِي الوسط الاجتماعيّ مَدًّا للتّواصل. وهنا تَجْدُر الإشارة إلى المفارَقَة بين هذا المفهوم في وصفه لحال التّرتيبات اللّغويّة ومَقامها في مجتمع ما، وهو مفهوم قابل للنّقد لقصور التّفكير الإنسانيّ الّذي يتطلّع إلى مُجانبة الكمال، وبين ما هو شائع من مفاهيم ترتكز على "ارتباط الدّالّ والمدلول، وما يترتّب عنه من نتائج"[7] في العلاقة النّاشئة بينهما؛ حيث يسوء المعنى وينحرف عن القصديّة مع انفكاك عقد التّلازم بين مستويات اللّغة المتّصلة، واتّساع الهوّة بين المكوّنين الدّلاليّ واللّغويّ، وقد تتطوّر هذه الحالة شيئا فشيئا من وضعها الفرديّ لتصبح ظاهرة شائعة لدى الجماعة اللّغويّة، خارجةً عن خطّ سيرها اللّغويّ المعتاد، وتكون بهذا قد انتقلت من وضعٍ لغويّ أحاديّ إلى وضع لغويّ متعدّد .

والملفت للانتباه أنّ ديناميّة ممارسة التّعدّد اللّغويّ في الجزائر ارتفع مستواها بشكل كبير مع انفتاح المجتمع الجزائريّ على تكنولوجيا الإعلام والاتّصال، ناهيك عن إقباله الكبير في العقود الأخيرة على تعلّم اللّغات الأجنبيّة، وهذا بلا شكّ ما أملته متغيّرات العصر ومقتضياته العالميّة، كتلك المرتبطة باهتمامات العامّة وميولهم، "فإلى جانب اللّغتين الوطنيّتين العربيّة والأمازيغيّة تتواجد اللّغة الفرنسيّة بقوّة، وبصفة هامشيّة الإنجليزيّة والإسبانيّة، وتتمايز هذه اللّغات في الوظائف والاستعمال"[8]، أمّا الألمانيّة والصينيّة والإيطاليّة اقتصرت على حاجات المستوى السيّاسيّ والاقتصاديّ، في صور من التّعاون الثّنائيّ في عديد المجالات، والضّرورة الحضاريّة هذه دعت إلى تعليميّتِها بإشراف أكاديميّ .

ولا شكّ أنّ هذا الثّراء اللّسانيّ الموروث من جهة، والمستعمل من جهة أخرى، يؤكّد حقيقةَ التّنوّع اللّغويّ وتوزّعِهِ في الجزائر، وإن دلّ هذا على شيء إنّما يدلّ على درجة التّقارب والوعي والانفتاح الاجتماعيّ، وما يُزكّي هذه الحقيقة ويغذّيها تلك مظاهر الانسجام والتّوافق والتّمازج الثّقافيّ، في صُورٍ من التّبادل في العادات والتّقاليد والثّقافات والطّبوع والقيم في نسيج مجتمعيّ متلاحم، مادامت في اعتقادهم الباطنيّ أنّها إرثٌ واحِد، كما هو التّقارب لغويّ بين العرب والأمازيغ، الّذي ساهم في تحريك وتائر التّداخل اللّغويّ، ونسج شكلٍ لغويّ جديد للتّواصل من العامّيات واللّهجات، وقد اكتسبتِ الجزائر في فصلٍ من فصول تاريخها إلى الآن هويّتَها العربيّة الأمازيغيّة الإسلاميّة، لم تعرف فتورا، ولم تُخامرها هشاشةٌ يوما.

2- تأثير العامل الكولونياليّ في نشأة الثّنائيّة اللّغويّة في الجزائر: تعلّم اللّغات واكتساب لغة ثانية أضحى مبلَغ اهتمام كثير من النّاس أفرادا وجماعات، وهي تندرج في دائرة غايات الفكر الإنسانيّ وتطلّعاته، تقتضيه لوازم التّرجمة، والمثاقفة، والسيّاحة، والمعاملات التّجاريّة والاقتصاديّة، والنّشاط الدّبلوماسيّ، والإعلام والاتّصال، والاحتكاك الحضاريّ، وتحصيل العلوم، وإلى غير ذلك، كلّها عوامل أفرزت الثّنائيّة اللّغويّة على التّوافق والمصالح المتبادلة، إلّا العامل الكولونياليّ القائم على الهيمنة وفرض منطق القوّة، الّذي استَحال إلى اعتقاد راسخ في التّاريخ الإنسانيّ، فلا نكاد نرى فترة من تاريخ الأمم إلّا وعاشت في غمرةِ صراعٍ أو نزاع أو استبداد، وهو مرهون بالمزاج النّفسيّ الجماعيّ، وبما يأتي به التّصوّر الفكريّ والفلسفيّ الّذي تعتقد به بعض المجتمعات، وقد أثبت الواقع أثر هذا العامل ووقعه الفظيع على اللّغة، في أن يجعل جنسٌ بشريّ لغةَ جنسٍ آخر في وضع غير طبيعيّ، "ومعنى ذلك أنّه لا فرق بين اللّغة والجنس الّذي يتحدّثها، والسّبب في ذلك أنّ اللّغة تستمدّ خصائصها من خصائص الجنس، والعكس صحيح" [9]، لتكون أوّل محطّة في طمس الهويّة بمكوّناتها، هي تجريده من اللّغة، فتتغيّر خصائص الجنس بتغيّر اللّغة، فيخلق لديه ما يُعرف بالصّراع فكريّ، ولعلّ سرّ انفصام شخصية أمّة يبدأ بقطع ما يجمعها من صلة باللّغة، فيفصلها عن محمولها الفكريّ والثّقافيّ، وهي من تداعيات حالة التّطويع القسريّ الّتي ينتهجها المستبِد، ليأتيَ على ركائز الشّخصيّة الوطنيّة، مُمَكّنا للغته في غير بيئتها.

هي حِقبة قاتمة من الاستبداد والاستعباد صيّرتِ المحطّات النّاصعة من التّوافق اللّغويّ في الجزائر إلى تجاذباتٍ، عكّرتِ الواقع اللّغويّ السّويّ، وقد أكّد المستشرقون في مذكّراتهم وفي تقاريرهم ، بأنّ الجزائر غداة الاحتلال الفرنسيّ كانت لها لغةٌ واحدة مشتركة، اجتهدوا في طلبها وتحصيلها؛ ويُصرّح الرّحّالة الألمانيّ جورج ويلهام شيمبر (Georg Wilhelm Schimper)عند زيارته للجزائر سنة 1831م قائلا : "لقد بحثت قصدا عن عربيّ واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنّي لم أعثر عليه، في حين أنّي وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلَّما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشّعب"[10]، هي عندئذ أمّة مثقّفة أَلْفاها المحتلّ خالية من الأميّة، لها شخصيّتها وهويّتها الموثوقة بالدّين واللّغة والفكر والعلم والفنّ، وما الجناية الّتي ارتكبها المحتلّ في حقّ كثير من مرافق التّعلّم والتّحصيل العلميّ كالمساجد والمعاهد والمدارس إلّا نهجٌ دنيء في هذا الاتّجاه، لاسيما أنّها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجانب الرّوحيّ والعقائديّ للشّعب .

والأكيد أنّ هذه السيّاسة الكولونياليّة الّتي يشوبها الحيف والزّيف قد أخذت منحًى خطيرا في مسعاها، ومَدارُها هي إيقاد نار الفتنة، وخلق قطيعةٍ تَجُوسُ التّشكيلَ اللّغويّ المتآلف "العربيّة والأمازيغيّة". وهذا يُنذر بجدِّيّةِ نوايا مشروعِه المحبوكة في أقْبِيةٍ ودهاليز مظلمة، عكفَ فيها على تتبُّع واستجلاء حيثيات مسار هذا التّقارب اللّغويّ، وتعقّب مُجرياته الاجتماعيّة الّتي هيّأت المناخ المناسب في تحقيق التّمازج، حتّى يطعن فيها، وقد عبّر بوديشون (Beaudichon) عن شيء من هذا المسعى بالاستثمار في ما يُتاح من فرص بقوله: "يَفْصِل الحقد بين عنصرين هما : العرب والبربر (يقصد الأمازيغ)، وهو أمر ينبغي دعمه وتحويله إلى غريزة، وعلى فرنسا أن تدفع إلى مزيد من التّناحر، وأن تستفيد منه"[11] .

الثّنائيّة اللّغويّة بين نفي الهويّة وإثبات الذّات

1- الكولونيّاليّة وأثرها في الثّنائيّة اللّغويّة في الأدب الجزائريّ الحديث والمعاصر

اللّافت للنّظر في المشهد اللّغويّ في الجزائر بُعَيْد الاستقلال أنّ اللّغة الفرنسيّة ظلّت مُهيمِنةً مُحتكِرةً منابرَ التّلقّي والكتابة وبعضًا من أشكال التّواصل الشّفويّ، لما كانت تحمله من عوامل المزاحمة والمنافسة للّغة الأم، تفعل فعلها في تفتيت الوحدة لدى أبناء المجتمع الواحد، "في وطن واحد، مثلما هو الحال في إسبانيا (الباسك)، وفي كندا بين النّاطقين

بالفرنسيّة والنّاطقين بالإنجليزيّة "[12]، وهنا لابدّ التّنبيه إلى أمر ارتباط اللّغة بالأدب، يتفاعلان مع الإنسان والحياة؛ اللّغة تفصح عن مكنون الأدب، والأدب سجلٌّ للّسان، "فإذا تخلّى عنها الأدب واستعار لغة أخرى للكتابة، فذلك يؤدّي إلى ضعفها أو موتها"[13] ومزاحمة لغة المستعمر للغة البلد، يُضعف مركزها الاجتماعيّ، ودورها الحضاريّ والثّقافيّ، ويَحمِلها على صراعات ثقافيّة وطبقيّة هي في غنًى عنها .

وقد انصرف النّظام السيّاسيّ غداة الاستقلال إلى تأطير الشّؤون الاجتماعيّة، وجعلها من أولويّات التّخطيط، لم يرافقه تبلور العربيّة كلغة وطنيّة جزائريّة على غرار الصّبغة الرّسميّة الّتي مُنِيَتْ بها، يمكن استناد هذا التّأخير إلى السيّاق العالميّ وتقلّباته غير المستقرّة، كتلك المرتبطة بالأمن الإقليميّ واستتبابه، الّذي يراه الكثيرون بأنّه حاسم في نجاح كلّ العمليّات. والثّابت من تباطؤ عملية تعميم اللّغة العربيّة، بعدم التّعاطي الأمثل مع سياسة التّعريب كقضيّة مصيريّة ناجم عن العقبات والصعوبات الّتي واجهتها مَسيرة هذه العمليّة ومراحلها في الجزائر إلى غاية تسعينيّات القرن الماضي، وقد عبّر "جون ديجو" (Jean Déjeux) عن بعض إجراءات المستوى السيّاسيّ فيما يذكره عن وضع الثّنائيّة، قائلا: "وزارة الإعلام والثّقافة تطلق مسابقات القصّة القصيرة والمسرحيّة باللّغتين العربيّة والفرنسيّة. جاري تنفيذ التّعريب ولكن التّقرير العام للخطّة الرّباعيّة 1970-1973م ينصّ على أنّ اللّغة الفرنسيّة سوف تحتفظ بمكانة مهمّة كلغة ثانية في التّعليم، وأنّ ممارسة الثّنائيّة اللّغويّة سوف تستمر، على الأقل خلال فترة انتقاليّة. وتدعو لجنة إصلاح التّعليم أيضًا إلى استخدام اللّغة الفرنسيّة كلغة أجنبيّة الأولى "من أجل الاستفادة القصوى من اتصالنا التّاريخيّ بالثّقافة الفرنسيّة"[14].

لقد أفرز حضور الثّنائيّة اللّغويّة في الخطاب الأدبيّ الجزائريّ ونقده المتعدّد جدلاً -كما أسلفنا- في قضيّة ماهية الأدب الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة وانتمائه، بداية من ظهور أوّل نصّ جزائريّ كتبه باللّغة الفرنسيّة، "وهو عبارة عن قصّة بعنوان "انتقام الشّيخ"، مستقاة - حسب ما يذكره جون ديجو (Jean Déjeux)- من التّقاليد الاجتماعيّة الجزائريّة، كتبها "محمّد بن رحّال"، ونشرتها المجلّة الجزائريّة التّونسيّة الأدبيّة والفنّيّة"[15] سنة 1891م، وبهذا يكون هذا العمل بكورة الكتابة بهذه اللّغة .

إلّا أنّ عمليّة البحث الّتي أجراها الباحث جون ديجو في الصّحف والمجلّات الصّادرة عن الفرنسيّين في الجزائر بين 1880/1920م لم تُسْفر إلّا عن نتائج قليلة، حيث عثر على أسماء ذات رنين عربيّ - على حدّ تعبيره- مثل "الجزائريّ" و"الفريانيّ" و"الرّاوي" إلى غاية عشرينيّات القرن الماضي؛ أين ظهرت عدّة نصوص أدبيّة لجزائريّين كتبوا باللّغة الفرنسيّة، لا سيما في مجال الرّواية، فإنّه "يتّخذ سنة 1920م كانطلاقة حقيقيّة لهذا الأدب النّاشئ، ويَعُدُّ مُؤَلَّفَ "القايد بن الشّريف"، الموسوم بـ"أحمد بن مصطفى الڤومي" بداية تلك الانطلاقة، وينظر إليه على أنّه أوّل رواية يكتبها جزائريّ باللّغة الفرنسيّة"[16]، والملاحظ على عمليّة المسح الكرونولوجيّ الّتي أجراها ديجو للأدب الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة، هي طول فترة عزوف الجزائريّين عن كتابة الأدبيّة باللّغة الفرنسيّة والمقدّرة بتسعين سنة (1830م- 1920م)، ويراه أمرا غير عاديّ، في حين أنّ الكتابة تقتضي هامشا من الحريّة، ذلك لأن سيّاسة التّضيّيق على الحريّات الّتي انتهجها الاحتلال، تُحَتِّم تأخّرا في المشهد الثّقافيّ عموما، وفي الكتابة الإبداعيّة خصوصا .

والملاحظ عن المشهد الأدبيّ في فترة ما قبل الاستقلال تَصَدّر الرّواية الفنيّة للأعمال الإبداعيّة في الجزائر، وقد جاءت كتابة الجزائريّين باللّغة الفرنسيّة مع مطلع العقد الثّاني من القرن العشرين في الرّواية بسيطةً، إلّا أنّ وتيرتها تصاعدت على نحو عجيب بداية من 1945م، والوضع يختلف مع الشّعر، الّذي جاء قليلا بنفس اللّغة، ولا نكاد نجد إلّا ديوانين لمالك حدّاد؛ الأوّل بعنوان "الشّقاء في خطر" سنة 1956م، والثّاني "اسمعنِي وأناديك" سنة 1961م"[17]، ومردّ ذلك إلى أمرين اثنين، يرجع الأوّل إلى مجازر 08 ماي 1945م، الّتي أيقظت القرائح والأقلام نُصرةً للثّورة والوطن بعد أن خذلها الأمل والانتظار، ويعود الثّاني إلى تزامن ظهور النّخبة المتمكّنة من اللّغة الفرنسيّة وانطلاق الطّباعة، الّتي كانت عاملا محفّزا لإبداء المواهب، وقد طغى الاتّجاه الملتزم والمتحمّس بالثّورة والمقاومة على هذين الجنسين .

تُعَدُّ هذه الفترة مرحلة انتقاليّة نحو الكتابة أكثر باللّغة العربيّة، والملاحظ عنها هو استمراريّة الكتابة بالفرنسيّة ليس لأنّها الفريدة، بل لانطلاق الكتابة الفنّيّة بها وتغليبها في عهد الاحتلال، وأكثر ما تضمّنه أدب هذه الفترة من إيحاءات، تَنِمُّ عن تغليب الإنسانيّة

وترقية القيم والفضائل وتقديم الوطنيّة ودفع المفاسد، حيث يرى العديد من الباحثين أنّ هذا النّوع من الأدب لم يتبلور لدى الكُتَّاب الجزائريّين إلّا بعد تفاعلهم الثّقافيّ مع الآخر.

2- أثر اللّسان الفرنسيّ وتجلّياته في النّقد الجزائريّ الحديث والمعاصر: يتساءل كثير من الباحثين حول إمكانيّة وجود نقد ساير هذا النّتاج الأدبيّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة، لاسيما في مرحلة ما قبل الاستقلال، الأمر الّذي دعاهم لتصفّح بطون الكتب ومصادر الأدب في تلك الحقبة، ذلك أنّ كثرة تداول مفاهيم الأدب المكتوب باللّغة الفرنسيّة، وما يشابهه من مفاهيم على غرار الأدب الفرنكفونيّ أو المفرنس، لا نجد له في المقابل نقدا يتناوله بالدّراسة في مستوى ما هو كائن لدى المحتل، فلم يظهر في المقابل "نقادٌ ودارسون جزائريّون متميّزون لهذا الأدب، حيث ظلّ يُعاني من فراغٍ كبيرٍ في هذا المجال، وظلّت تصريحات الكتّاب ولقاءاتهم في بعض المناسبات مع الصّحافة أو الجمهور هي المرجع الرّئيسيّ لرصد توجّهات هذا الأدب، وتسجيل مواقف كُتَّابه إزاء مختلف القضايا الأدبيّة أو القضايا السّياسيّة على السّواء، وهي تصريحات تتّسم في الغالب بطابع الظّرفيّة، والارتجال، والذاتيّة"[18]، لذلك تبقى هذه الآراء في عمومها تُصنَّف فيما يعرف بالنّقد التّقليديّ الارتجاليّ الخالي من المنهجيّة العلميّة النّقديّة، في ظلّ غياب النّاقد الجزائريّ المتخصّص.

وفي هذا الصّدد نجد الباحثين يطرحون الكثير من التّساؤلات حول نشأة هذا النّقد وحركته التّطوّريّة في الجزائر، وللنّاقد رشيد بن مالك تساؤل يَنِمُّ عن استغراب حول تأخّر النّقد الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة في الوصول إلى المستوى العلميّ الّذي يليق به، قائلا: "لقد راودتني هذه الفكرة منذُ زمنٍ طويلٍ وتحديدًا في بداية الثّمانينيّات(1982-1981م) عندما كنت أختلف مع مجموعةٍ من الباحثينَ المعرّبين... وأول سؤالٍ تبادر إلى ذِهني في تلك الحِقبة يتعلّق بتخلّف الوُجوه النّقديّة الفرنكفونيّة الجزائريّة عن النّقاشات العِلميّة الواسعة والمعمّقة والحادّة الدّائرة بين هؤلاء الباحثين، والّتي كانت تشكِّل المنعطف التّاريخيّ الحاسم بخصوص الاستراتيجيّات البحثيّة الواجب تبنّيها في الاقتراب المنهجيّ من النُّصوص السّرديّة، فتعدّدت زوايا النّظر في الاقتراب منها واختلف أصحابها في الطّرح. لم أفكر على الإطلاق في صِياغة إجابةٍ مُناسبة على السّؤال"[19].

والمقال الّذي كتبه الأستاذ حمزة الزّاوي ونَشره في مجلة التّبيّن عام 1990م، سلّط الضّوء بشكل كبير على تطوّر الخطاب النّقديّ الجزائريّ الحديث والمعاصر المكتوب

بالفرنسيّة. رغم أنّ هذه الالتفاتة تبدو محدودة في حجمها، إلّا أنّها تفتح كُوَّةً ضيّقةً، هي بمثابة إشارة تحفيزيّة نحو تناول هذا الموضوع بجديّة أكبر، غير أنّها لا تنفي وجود دراسات جامعيّة في النّقد الأكاديميّ للجزائريّين بالفرنسيّة في العقود الأخيرة، معظمها لم يحظ بالنّشر، إلّا أنّ أكثرها يتناول الجانب التّنظيريّ، وهذا لم يكن مُعوّقا في أن تقوم الممارسة النّقديّة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة ببعض ما يُخرجها من طوق العزلة والمحدوديّة، و"تعبّر عن ممارسة جادة في مجال تقيّيمها للأعمال الصّادرة باللّغة الفرنسيّة إبداعًا، والملاحظة أنّ الممارسين والمنتجين لهذا الخِطاب، غالبًا ما ينتمون إلى قِطاع البحث الأكاديميّ، يكفي أن نذكر هنا ببعض الأمثلة القريبة مثل أعمال نجاة خدّة وكريستيان عاشور"[20]،وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا الخِطاب النَّقديّ الفرنكفونيّ أهمل الحركة الأدبيّة الصّادرة باللّغة العربيّة، في قطيعة مع ما هو خارج اللّسان، كما يمكن أن يعمّق فهمَنا للأسباب الكامنة وراء طبيعة هذا الخطاب النّقديّ، الّذي يبدو للوهلة الأولى وكأنّه يتحفّظ بنفسه عن السيّاق النّقديّ العام الّذي كان يؤطّر حركة النّقد الأدبيّ في الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال.

ويَعزُ أكثر الباحثين ظهور النّقد الأدبيّ الفرنكفونيّ في الجزائر إلى مساعي الاستعمار الفرنسيّ، لفرنسة الجزائر والنّيل من هويّتها وثقافتها، فكان من الطّبيعي أن يُفرزَ هذا الواقع المحتدِم نُخبًا جزائريّة مثقّفة بقناعات إيديولوجيّة متراوحة بين القوميّة والمحاباة، وإن كانت كتابات أنصار القوميّة تجمع بين العربيّة والفرنسيّة بتبنّي القضيّة الجزائريّة، فإنّ نهج أصحاب المحاباة يُمجّدون في كتاباتهم المستدمِر، ويدعون إلى التّسامح والتّمازج، فمثّل هذا الصّراع صورة حيّة لواقع ملأته الصراعات الإيديولوجية، أوجدته ظروف تاريخيّة مرتبطة بالاحتلال الفرنسيّ، وهذا ما أكّده فتحي بوخالفة بقوله : "قد يكون الاستعمار الفرنسيّ من وراء صناعة النّخبة المثقّفة، سعى لإحداث تطوّر جزائريّ آخر في منظومته الثّقافيّة واللّغويّة. وهذا مؤكد، لكن تبقى طبيعة التّطوّر المراد هو السّعي الحثيث لإنتاج منظور ثقافيّ وفكريّ، يُمكّن من الحفاظ على امتيازات الأقليّة الاستيطانيّة في المجتمع، بشكل يسمح بالاستغلال ومصادرة الثّروة، كون البُنية الفكريّة الموالية لا تقلّ أهمية عن باقي الأساليب الأخرى في الحفاظ على الهيمنة، والامتيازات الطّبقيّة والاجتماعيّة"[21].

فوصول الصراع اللّغويّ إلى مجال النّقد الأدبيّ مُشبعًا بتلك الشّحنات الأيديولوجيّة الّتي تميل إلى التّعصّب والفوقيّة أكثر من التّحليل العلميّ، قد أسهم في عزلة هذا التّيّار النّقديّ، ممّا جعله يعمل بطريقة تميل إلى الانغلاق، وقد تسبّبت هذه العزلة في عرقلة الحركة النّقديّة، و لم تُتح لها المشاركة بالشّكل الفاعل في مناقشات هادفة إلى بناء مشروع نقديّ شامل في الجزائر، حيث استأثرت حركة النّقد الأدبيّ المكتوبة بالعربيّة بهذا المشروع بسبب أفق التّوجّه، وهذا الواقع قد يَحدّ من تأثير حركة النّقد الأدبيّ الّتي تعتمد على اللّغة الفرنسيّة في الجزائر، ويجعلها غير قادرة على الوصول إلى المستوى المطلوب .

وبناءً على اعتبار أن الإنتاج النّقديّ يمثّل هيكلًا فكريًّا فريدًا، فإنّ هذا الإنتاج يشكّل النّموذج العمليّ لفاعليّة ثقافيّة تنمويّة سعت بروحها الثّوريّة إلى الاقتراب، من طبيعة الإنتاج الأدبيّ الّذي ظهر في تلك الفترة، وذلك وفقًا لمتطلبات التّحولات الّتي طرأت على طبيعة الهيكل الاقتصاديّ المرتبط بالنّمط المعيشيّ للفرد الجزائريّ، وهذا يوضّح العلاقة الجلّية بين النّقد التّنظيريّ الفرنكفونيّ في الجزائر والنّمط المعيشيّ للفرد الجزائريّ، وذلك وفقًا لمتطلبات التّحولات في العلاقة بين الهياكل الفكريّة والتّطورات التّاريخية الّتي حدثت.

ويتجلّى للباحثين أنّ انعدام الكتابات النّقديّة الجزائريّة باللّسان الفرنسيّ الّتي تناولت الأدب المكتوب باللّغة الفرنسيّة قبل الاستقلال في الجزائر مازال تأثيرها ظاهرا وبشكل واضح حتّى بعد الاستقلال، وهذا ما يوضّح حالة الشّلل الشّبه التّام للدّراسة النّقديّة للأعمال الجزائريّة المكتوبة في الفترة الكولونياليّة، إلّا ما ورثناه من الاستعمار الفرنسيّ، وبالتّالي نجمَ عن ذلك "تمجيدُ أعمال تلك الفترة في أحاديّة مُسيئة، حيث يختزلها جون ديجو-كما ينقلها عنه أحمد لنصاري- في تأريخه للواقع الأدبيّ في الجزائر من 1920 إلى 1949م، على أنّها فترة المحاكاة، وأنّ معظم هؤلاء الكُتّاب حاولوا تقديم الصّورة الّتي يتوقّعها منه الآخر ومحاولة التّماهيّ في الحداثة من خلال الدّعوى إلى الاندماج"[22]، ومن الضّروريّ التّنويه بأنّ هذا التّعميم قد لا ينطبق بالضّرورة على جميع الكُتّاب الجزائريّين الّذين أبدعوا خلال تلك الحقبة الزّمنيّة، فلكلّ مبدع منهم تجربته الفريدة، ورؤيته الخاصّة .

أمّا بعد الاستقلال فقد استمرّت حركة النّقد المكتوب باللّغة الفرنسيّة في الجزائر في تخلّفها عن مواكبة النّقد المكتوب باللّغة العربيّة، إذ يتّضح ذلك من خلال غضب كاتب

ياسين بعد السّؤال الّذي طرحه أحد الصحفيّين، إذ يقول أحد الباحثين معلقًا على الموقف: "على الأقل تخاصم كاتب ياسين مع ناقد حقيقيّ، مع رجل تُحسب له العديد من الأعمال، الّتي لا تزال مرجعيّة في فهم وتحليل النّصّ الرّوائيّ، لكن مع من يتخاصم الكتّاب الجزائريّون اليوم؟ هل هناك فعلا نُقّاد يمكن أن نقارنهم بجون ديجو آو شارل بون أو محمد مصايف؟"[23]؛ رغم النّقص الّذي تشهده الممارسة النّقديّة في الجزائر فيما يتعلّق بالتّأليف والنّشر.

كما ينبغي الإشارة إلى أنّ التّحول النّقديّ داخلَ الجامعة الجزائريّة، وعلى مستوى النّقاد والباحثين المشتغلين على الأدب ونقده باللّغة العربيّة كان له وَقعُه في مسيرة النقّد النّاطق بالفرنسيّة، إلّا أنّه قوبل بنوع من المقاومة، فلطالما وُجدَ خصوم التّجديد في كلّ مكان وفي كلّ زمان، فبالنّظر إلى السيّاق الثّقافيّ الجزائريّ في سبعينيّات وثمانينيّات القرن الماضي، كانت الأُطُر العامّة للنّقد الأدبيّ في الجزائر لا تزال محكومةً بالمقاربات الإيديولوجيّة ذات التّوجّه الاجتماعيّ والواقعيّة النّقديّة، وقد عبّر عن ذلك رشيد بن مالك عن تجربته الشّخصيّة الصّعبة مع الكتابة النّقديّة، على أنّ المهتمّين بالتّجديد النّقديّ انحصروا "في مجموعات محدودة جدًا، وتجدهم يبحثون وهم فاقدون الأمل في إمكانيّة نشر هذه البحوث، ظروف صَعبة جدًا: مؤسّسات علميّة رافضة لهذا التّوجه...ثمّ إنّ الملتقيات المنظّمة خلال هذه الحقبة كثيرًا ما كانت تَتّسِمُ بطابع عام، تغلب عليه الأحكام القيميّة ولا تفي بالغَرض العِلميّ المنشُود...،ولم يُكتب لهذه البحوث أن تُطبع في الثّمانينيّات للمقاومة الشّديدة الشّرسة الّتي لقيها البحث السّيميائيّ في الجامعة الجزائريّة"[24]، وما يهمّنا في خضمّ السيّاقات والممارسات المشكّلة للمشهد النّقديّ الأكاديميّ النّاطق بالفرنسيّة، هو توافقه مع نظيره النّاطق بالعربيّة في الأسس النّقديّة المستمَدّة من نظريات وآليات النّقد الغربيّ، وتأسيسًا على ذلك، فمن المنطقيّ علميًّا عند تلقّي النّقد من نفس المصدر أن تنتقل الإشكاليّات نفسها إلى كلتا الممارستين النّقديّتين.

وما يَعْنِينا أكثر من بين المظاهر والممارسات المشّكلة للمشهد العام للخِطاب النّقديّ الأكاديميّ النّاطق باللّغة الفرنسيّة، هو الاشتراك مع نظيره النّاطق باللّغة العربيّة في المرتكزات النّقديّة، والمتمثّلة في نظريات وآليات المنجز النّقديّ الغربيّ؛ وعليه فإنّه من

التّرجيح الموضوعيّ العِلميّ، وعند التّلقّي النّقديّ من نفس المصدر، أن تنتقل نفس الإشكالات برؤى نقديّة متقاربة، مع الوقوف على بعض الاعتبارات، حيث تُملي البداهة، أنّ التّحوّل في الكتابة الإبداعيّة الجديدة باللّغة الفرنسيّة بعد الاستقلال لابدّ أن يقابلها نقد مساير ومتفاعل مع مختلف المدارس النّقديّة والأدبيّة العالميّة .

3- حضور الثّنائيّة اللّغويّة في الدّراسة النّقديّة لرشيد بن مالك "مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة"[25] أنموذجًا.

جعل رشيد بن مالك هذه الدّراسة في قسمين أساسيّين؛ حيث تقصّى في القسم الأوّل الأصول اللّسانيّة والشّكلانيّة الّتي قامت عليها النّظريّة السّيميائيّة، بتركيزه على بعض المفاهيم الّتي استمدّتها منها، وكان لها بالغ الأثر في الكشف عنِ الرّؤية المنهجيّة لهذه النّظريّة.

أمّا في القسم الأخير الّذي أخذ حظًّا أوفرا، يكون قد استوعب عديد المحاولات التّطبيقيّة، الّتي سحب من خلال المكتسبات المنهجيّة للنّظريّة السّيميائيّة الّتي تطرّق إليها في القسم النّظريّ على نصوص سرديّة، انتقاها بغرض تبسيط قواعد التّحليل السّيميائيّ للمتلقّي انطلاقًا من مشروعه النّقديّ الهادف إلى فحص النّصّ السّرديّ العربيّ؛ معتمِدًا في ذلك على قصتَي "العروس" لغسّان كنفاني، و"عائشة" لأحمد رضا حوحو، ورواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدّوقة، إلّا أنّ اللّافت في الأمر أنّ النّاقد زاوج بين اللّغة العربيّة واللّغة الفرنسيّة في ما يُعرف بظاهرة الثّنائيّة اللّغويّة، وما يترتّب عنها من تفاعل لغويّ، تستقبِل من خلالها اللّغة أصواتًا لسانيّة، تُمليها الحاجة إلى التّواصل مع مستويات لسانيّة عليا ناضجة، ذلك أنّ "اللّغة المستعمَلة تغرف يوميًّا بلا حرج منَ اللّغات الأجنبيّة عن طُرق كثيرة ومختلفة منها وسائل الإعلام والسّلع المستورَدة والهجرة ونسبة المتعلّمين بهذه اللّغات واستقبال العولمة، ممّا يفضي إلى التّغذّي منها"[26] .

إنّ المطّلِع على القسم التّطبيقيّ من هذه الدّراسة النّقديّة المكتوبة باللّغة العربيّة من قبيل طبيعتها اللّغويّة السّائدة، سيدرك حجم الملفوظات النّقديّة الواردة باللّغة الفرنسيّة، والّتي أُقْحِمَت لداعي الاستدلال، حفاظًا على محمولها العلميّ المتّصل في الأساس بالمنهج السّيميائيّ النّابع من مدرسة باريس والنّاضج في حضنها. وسيعِي أيضًا أنّ هذه الملفوظات ما هي في الحقيقة إلّا جملة من المصطلحات والمفاهيم النّقديّة، وهي في الغالب ذات علاقة

بالسّيميائيّة، نجدها موزّعة في هذا القسم على المرحلتين الأُوليَين دون الرّواية، سنحاول إيرادها وِفق التّقسيم الّذي اعتمده رشيد بن مالك مع تلافي المكرّر منها :

وقد كان أثر الثّنائيّة اللّغويّة في قراءة رشيد بن مالك السّيميائيّة في قصّة "العروس" لغسّان كنفاني واضحا؛ إذ بدأ المقطوعتين برسائل يوجّهها الرّاوي المتكلّم إلى المُخاطَب "رياض"، وما تَسوقه هذه الرّسائل من معاني مرتبطة بالجانب الانفعاليّ، تنتقل من المرسِل إلى المستقبِل بلا معوّقات نفسيّة أو حسيّة، ذلك أنّ البرنامج السّرديّ له غائيّة يدور في فلكها. تحذوه الرّغبة في الاقناع، من خلال ما نُسجّله من ملفوظات باللّغة الفرنسيّة، استعملها في موازاة نظيرتها العربيّة بغرض استحضار المفهوم المشترك. ومن ذلك نجد :

- "hiérarchie" ويُسجّل في هذا الملفوظ تدرّجًا في السّرد، يُعبّر عنِ النّقلة الّتي يُحدثها الرّاوي من صعيد العلامات الخاصّة بالرّجل إلى صعيد القصّة"[27]، فالباعث من تقديم هذه النّقلة هو اتّخاذها كبديل لتجاوز المعيقات البصريّة الّتي تسمح بإدراك علامات الشّخصيّة والماهية .

- "objet de valeur" وهو "موضوع القيمة" بالبحث عنِ القيم الّتي لم يُدركها الرّاوي؛ بحيث يصير مالكًا لمعرفة مقطوعة"[28]، وهنا يتجلّى اللّبس لديه بعدم معرفة ما هو مجسّد في شخص العروس، تِبعًا لمواقف التّعجّب والدّهشة الّتي أبداها في مواضع عدّة من الحوار الخارجيّ .

- "faire interprétatif" يتّضح من "الفعل التّأويليّ" المُمارَس من العامل الجماعيّ على سلوك فرديّ"[29]، باعتبار أنّ الإدراك الجماعيّة تحصيل لما توفّره العناصر النّصيّة الضّروريّة لحصر أفق التّوقّع بالنّسبة للشّخصيّة المحوريّة .

- "programme narratif annexe"؛ في ضوء المعطيات المستجَدّة تتفاعل البنية الدّلاليّة الشّاملة للنّصّ مع ما يأتي من "برنامج سرديّ مُلحق"[30]، على أن يتّسع أفق التّصوّر المتّكئ على ما يُمكن أن يقع من أداء على امتداد زمنيّ متواصل (ليل – نهار)، وهذا ما يُلاحظ من خلال سمة فعل الحركة المسنَد إلى الرّاوي .

وعلى غرار ما استهلّ به النّاقد القراءة السّيميائيّة في قصّة "العروس" من عرض منهجيّ، نجده يتكرّر مع كلّ ممارسة سيميائيّة في النّصوص اللّاحقة، فعمد إلى تقديم موجز

حول موقع السّيميائيّة من البحوث النّقديّة المعاصرة وما تطرحه من إشكالات على الصّعيدين النّظريّ والتّطبيقيّ . وفي خطوة تالية تطرّق بالتّحليل إلى الخطاب السّرديّ في كنف الوحدات المُشكّلة له، وهو إجراء عزّزه بملفوظات فرنسيّة من نفس المجال، أفضى إلى تكريسه الثّنائيّة اللّغويّة، وفي هذا الصّدد نذكر :

- "sujet opérateur" "الفاعل المنفّذ"[31]، يرتبط بملفوظ الفعل ويعكس التّحوّلات الّتي يُحدثها على طول مسار الخطاب السّرديّ، وهي تحوّلات تقوم على أساس العلاقة الموجودة بين الفاعل والموضوع .

- "faire persuasif": يسعى الرّاوي من خلاله إلى ممارسة "فعله الإقناعيّ" على القارئ"[32]، بهدف تحقيق عنصر الإقناع، ويتحدّد هذا بانتقال الرّاوي من وضعيّة الخطاب الموضوعيّ إلى وضعيّة الخطاب السّرديّ .

- "principe de l'échange": من "مبدأ التّبادل"[33] أن يُلازم أطراف الخطاب السّرديّ المعرفة، يرتكز على رفض الفاعل الجماعيّ للتّغيّير الّذي يحمله العنصر الجديد في مخالفته المعرفة .

- "pouvoir communicatif": يحمل هذا العنصر سمة "السّلطة التّبليغيّة"[34]، تظهر تجلّيّاته في الحالة الجديدة الّتي أفرزها التّبدّل في البنية السّرديّة، ارتكانًا إلى التّموضع الّذي يحتلّه الفاعل المنفّذ في البرنامج السّرديّ، وقد أشار إلى ذلك بنموذج "الشّاب" الّذي مارس فعله الإقناعيّ مستهدِفًا "عائشة" في إطار معرفيّ يشتغل على عامل التّأثير .

- "modalités de la virtualité": في مقابل ما يُعرف بـ"جهات الإضمار"[35]، يُحدث في البرنامج السّرديّ إرباكًا، استنادًا إلى الوضعيّة الّتي قد يؤول إليها الفعل، في مفارقة بين الوجوب والإرادة، ومن ذلك رغبة عائشة في الحريّة في مقابل حالة عجزها.

وعليه؛ يُعَدّ هذا ترتيبًا حكيما تبنّاه النّاقد رشيد بن مالك، فالتّشكيل اللّغويّ في الكتابة النّقديّة باعث على التّمكّن والتّحصيل، يُشرك المتلقّي في عمليّة الفحص النّقديّ في إطار ما يُعرف بنقد النّقد، بالإضافة إلى تعامله مع المادّة النّقديّة المتّصلة بممارسة المنهج السّيميائيّ وتبليغها بلغة المنبع، وحتّى يعطي لدراسته هذه نفسًا قويًّا من المحاججة ودفعًا للرّتابة من جانب آخر .

خاتمة :

تأسيسًا على ما سبق وبقراءة مُتفحِّصة للمشهد اللّغويّ المعقّد في الجزائر، حيث تتداخل العربيّة والفرنسيّة في نسيج ونصوص الخطاب النّقديّ المعاصر، يتجلّى أنّ هذه الثّنائيّة اللّغويّة لم تكن مجرد صدفة أملتها اللّحظة التّاريخيّة، بل نجدها ذات تأثير عميق في تشكيل هذا الخطاب النّقديّ وتوجُّهاته، فمن ناحية، مَثَّلَتِ اللّغة الفرنسيّة بوابة فتحت للنّقاد الجزائريّين آفاقًا واضحة الرُّؤى على المناهج النّقديّة الغربيّة الحديثة، وقد أضفت هذه اللّغة إلى الأدب الجزائريّ المكتوب بها، بما تحمله من مفاهيم وأدوات تحليليّة من الشّهرة والعالميّة، ما لم يكن ليحقّقه باللّغة الأم .

لكن من ناحية ثانية، كان لهذه الثّنائيّة الكثير من الإشكاليّات، فقد أثارت تساؤلات عمّقت النّقاش حول هويّة النّقد الجزائريّ، كما طرحت إشكاليّةً حول مدى قدرة هذا النّقد الفرنكفونيّ على استيعاب خصوصيّة النّصوص الأدبيّة وتقديم قراءات مُعمَّقة لها .

ومنه يمكن القول أنّ الثّنائيّة اللّغويّة في الخطاب النّقديّ الجزائريّ المعاصر كانت ولا تزال قوة دافعة للتّفكير والتّساؤل. لقد أفرزت نُقَّادًا مُتمكِّنين من أدوات تحليليّة متنوّعة، وساهمت في إثراء المشهد الثّقافيّ الجزائريّ. غير أنّ تجاوز الإشكاليّات المرتبطة بها، يظلّ تحدّيًا مطروحًا أمام النّقّاد والباحثين الجزائريّين، من أجل بناء خطاب نقديّ أصيل ومُعبّر عن الهويّة الجزائريّة بتنوعها وثرائها.

قائمة مصادر البحث ومراجعه:

1) إبراهيم سعدي. إشكالية التّواصل اللّغويّ بالجزائر، مجلّة اللّغة العربيّة(02). (1999م).
2) أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830- 1855. الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع. (1975م).
3) أحمد منوّر. الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ، نشأته وتطوّره وقضاياه،. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة. (2017م).
4) أحمد منوّر. الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ؛ نشأته وتطوّره وقضاياه. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة. (2017م).

5) حمزة الزّاوي، الخِطاب النّقديّ في الجزائر، حول بعض الكتابات النّقديّة سنة 1990. مجلة التّبيّين. (1989م).

6) رشيد بن مالك. قراءة في النّقد الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة.(بلا تاريخ). تمّ الاسترداد من https://www.benhedouga.com/

7) رشيد بن مالك. قراءة في النّقد الجزائري المكتوب باللغة الفرنسيّة. (02 04, 2023). تمّ الاسترداد من https://www.benhedouga.com/.

8) عبد العليّ الودغيري. لغة الأمّة ولغة الأم عن واقع اللّغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثّقافيّة. لبنان: دار الكتب العلميّة. (2014م).

9) عبد النّاصر بوعلي. ديناميّة الوضع اللّغويّ بالجزائر؛ رصدٌ، ووصفٌ، ونقدٌ. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة. (2020م).

10) فتحي بوخالفة. محاضرات في الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة. المسيلة: جامعة محمد بوضياف.(بلا تاريخ).

11) فتيحة شيخ. التّأثيران الفرنسيّ والأمريكيّ الخطاب الرّوائيّ نجمة عند كاتب ياسين. قسم اللّغة والعربيّة وآدابها. د.ت

12) فتيحة شيخ، التّأثيران الفرنسيّ والأمريكيّ في الخطاب الرّوائيّ نجمة عند كاتب ياسين. شلف، كلية الآداب واللّغات، الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي. (2012م).

13) لويس جان كالفي. حرب اللّغات والسيّاسات اللّغويّة. (حسن حمزة، المترجمون) لبنان: مركز دراسات الوحدة العربيّة المنظّمة العربيّة للتّرجمة،(2008م).

14) محمّد العربيّ ولد خليفة. محنة الكولونياليّة إلى هيئتها الاستشاريّة. مجلّة اللّغة العربيّة. (2005م).

15) محمّد مهداوي. هموم الكتابة في الأدب العربيّ الحديث في الجزائر على أيّام الاحتلال. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة. (2017م).

16) مخلوف عامر. الهويّة والنّصّ السّرديّ. الجزائر. دار القبية. (2016م).

17) ناصر الدّين سعيدوني. الواقع اللّغويّ في الجزائر. مجلّة اللّغة العربيّة(15). (2006م).

18) يوسف نسيب. مولود فرعون حياته وأعماله. (حنفي بن عيسى، المترجمون) الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للكتاب. (1991م).

19) Ahmed Lansari .La critique algérienne, de l'entre de guerres, Le poids de idiologie, Horizons Maghrébins, Le droit a la mémoire , .*université de Toulouse*.(1991) .

20) Jean Déjeux ,.Bibliographie méthodique et critique de la littérature algérienne d'expression française (1945-1970 .(*Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*.(1971)

leçons de Saussure et de . Signe, signifiant, signifié .Michel Launay .(1988) .Guillaume Cahiers de Fontenay.

الإحالات والهوامش:

1- لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسيّاسات اللّغويّة، ترجمة حسن حمزة، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، لبنان، 2008م، ص62 .

2- لويس جون كالفي، حرب اللّغات والسّيّاسات اللّغويّة، ص78 .

3- المرجع نفسه، ص78 .

4- عبد النّاصر بوعلي، دينامية الوضع اللّغويّ بالجزائر؛ رصدٌ، ووصفٌ، ونقدٌ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2020م، ص30 .

5- عبد العليّ الودغيري، لغة الأمّة ولغة الأم عن واقع اللّغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثّقافيّة، دار الكتب العلميّة،ط1، لبنان، 2014م، ص08 .

6- لويس جون كالفي، حرب اللّغات والسّيّاسات اللّغويّة، ص125 .

7- Michel Launay, Signe, signifiant, signifié : leçons de Saussure et de Guillaume, Cahiers de Fontenay, n°46-48, france, 1988, p140

8- عبد النّاصر بوعلي، دينامية الوضع اللّغويّ بالجزائر؛ رصدٌ، ووصفٌ، ونقدٌ، ص07 .

9- محمّد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربيّ الحديث في الجزائر على أيّام الاحتلال، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2017م، ص200 .

10- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830- 1855، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1975م، ص13 .

11- محمّد العربيّ ولد خليفة، محنة الكولونياليّة إلى هيئتها الاستشاريّة، مجلّة اللّغة العربيّة (المجلس الأعلى للّغة العربيّة)،العدد الممتاز، الجزائر، 2005م، ص87 .

12- محمّد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربيّ الحديث في الجزائر على أيّام الاحتلال، ص202.

13- المرجع نفسه، ص204 .

14- Jean Déjeux, Bibliographie méthodique et critique de la littérature algérienne d'expression française (1945-1970), Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, n°10, france, 1971, p168.

15- أحمد منوّر، الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ، نشأته وتطوّره وقضاياه، ص87 .

16- المرجع نفسه، ص88- 89 .

17- يُنظر: أحمد منوّر، الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ، نشأته وتطوّره وقضاياه، ص104-110.

18- المرجع نفسه، ص116- 155.

19- رشيد بن مالك، قراءة في النّقد الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة،

https://www.benhedouga.com/.2023/04/02 ،18:05 .

20- يُنظر: حمزة الزّاوي، الخِطاب النّقدي في الجزائر، حول بعض الكتابات النّقدية سنة 1989م، ص63.

21- فتحي بوخالفة، محاضرات في الأدب الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة، ص50.

22- Ahmed Lansari, La critique algérienne, de l'entre de guerres, Le poids de idiologie, Horizons Maghrébins, Le droit a la mémoire, université de Toulouse, France, N17,1991, p 67.

23- Ahmed Lansari, La critique algérienne, de l'entre de guerres, Le poids de idiologie , p 67

24- يُنظر: رشيد بن مالك، قراءة في النّقد الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة:

.https://www.benhedouga.com/

25- رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2000م، ص02 .

26- الطّاهر ميلة، إشكالية استعمال الكلمات الدّخيلة والعاميّة في بعض الأعمال الأدبيّة والصّحفيّة، مجلّة اللّغة العربيّة، ع2، الجزائر، 1999م، ص129.

27- رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2000م، ص53.

28- المرجع نفسه، ص54.

29- المرجع نفسه، ص56.

30- المرجع نفسه، ص62.

31- المرجع نفسه، ص73.

32- المرجع نفسه، ص74.

33- المرجع نفسه، ص80.

34- المرجع نفسه، ص81.

35- المرجع نفسه، ص88.